14

روميل و « العبيد الروس» : رحلة العودة إلى الوطن

في مايو عام ١٩٤٣ ألحقت قوات الحلفاء الهزيمة بالقوات الإيطالية - الألمانية في شمال تونس ، وإكتشفت وجود عدد من جنود الجيش الأحمر ضمن الأسرى المحررين ، من قبلهم داخل المعتقل الفاشي . وفي المرحلة النهائية للحملة التي استهدفت شمال أفريقيا تم نقلهم من إيطاليا لمزاولة أعمال ثانوية . وكان يُطلق على هؤلاء الأفراد وصف « العبيد الروس» لرومل ، وقد وردت هذه التسمية في العديد من الأعمال الأدبية[٥٠١] . غير أنه لم يكن هناك حتى وقت قريب بيانات دقيقة عن تعدادهم الأصلي. وقد تم الحديث عن الكيفية التي تم بها إعادتهم إلى الاتحاد السوفيتي بإيجاز شديد . واليوم بات من الممكن تحديد عدد «العبيد الروس» بدقة ، وذلك بفضل الوثائق الأرشيفية ، والحديث عن عودتهم إلى الوطن بشيء من التفصيل .

٥٠١ عن مقالة : «Русские рабы» Роммеля: возвращение на родину والتي نشرت بمجلة « الأرشيف الشرقى « ، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov.

أنظر : تولستوي .ن . ف «ضحايا يالطا» ، موسكو ١٩٩٢ ، صـ ٥٢ ، أنظر : أيضاً بوليان ، بافل «ضحايا ديكتاتورين»، موسكو ١٩٩٦ ، صـ ٢٢٢ ، أنظر : أيضاً إ. زايجورين «تاريخ ليبيا» القرن العشرين ، موسكو ١٩٩٩ ، صـ ١١٥ .

لقد تسنى لي في عام ٢٠٠٤ ، الحصول على دليل مختصر من أرشيف هيئة الأمن الفيدرالي، عن عملية العودة من شمال أفريقيا في الفترة من أغسطس ١٩٤٣- مارس ١٩٤٤ مع ملحق به قائمة لأسماء "الأفارقة" التي أرسلت إلى المعسكرات الخاصة ، في ريازان و بودولسك التابعة للمفوضية الشعبية للشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي ؛ للتأكد منها داخل الوطن . وقد تبين من خلال ذلك الدليل وصول حوالي ٣١١ مجند بالجيش الأحمر إلى أراضي الاتحاد السوفيتي طوال تلك الفترة من شمال إفريقيا . وتتضمن إحدى تلك الوثائق تحليلاً مفصلاً عن أول مجموعة من المرحلين ، وكانت تضم ٥٩ شخصاً ، وقد وقعوا في الأسر في عام ١٩٤١، وعام ١٩٤٢. وفي البداية تم استغلالهم في ألمانيا في الأعمال المدنية ، ثم بعد ذلك تم ضمهم إلى وحدات المدفعية الألمانية ، ووحدات الدفاع الجوى . وفي الفترة من يناير١٩٤٢- يناير١٩٤٣ تم إرسال أسرى الجيش الأحمر ضمن تلك الوحدات إلى إيطاليا ومنها إلى تونس. ويتضح كذلك من خلال القائمة الخاصة بمعسكر ريازان أن عدداً من «الأفارقة» قد وقعوا في الأسر في ديسمبر ١٩٤٢. وفي الفترة من الثامن حتى العاشر من مايو ١٩٤٣ وأثناء هجوم قوات الحلفاء على تونس إنحاز جزء منهم إلى جانب القوات الآنجلو أمريكية ، أما الباقين فتم أسرهم ضمن القوات الفاشية [٥٠٢] .

وضعت قوات الحلفاء جنود الجيش الأحمر في معسكرات أسرى الحرب . وكان المعسكر الأمريكي لأسرى الحرب ، يوجد بالقرب من مدينة مطيورة ، أما المعسكر الإنجليزي عند مدينة علما . وفي الخامس والعشرين من مايو وبناءً على قرار صادر من المفوض الشعبي للاتحاد السوفيتي ، تم نقل هؤلاء الجنود إلى المعسكر السوفيتي في مدينة ميزون كاري بالجزائر ، ذلك المعسكر الذي تم إعداده لأجل المشاركين السابقين في الكتائب الدولية في أسبانيا . غادرت أول مجموعة من الأسرى المحررين والتي كانت تضم ٥٩ أسيراً ، هذا المعسكر إلى كراسنافودسك في السادس عشر من يوليو ١٩٤٣ . وفي اليوم التالي تم نقل ٢٠٥ أسير من المعسكر إلى ميزون كاري ، وانتقلوا عبر البحر من ميناء سوسة التونسي إلى ميناء بورسعيد في مصر ، ومنها إلى العراق عبر فلسطين ثم إلى طهران، لإبلاغ ممثلي القيادة السوفيتية [٥٠٣] .

٥٠٢ أرشيف المؤلف ، ملف «العلمين -١» السطور من ١٤٤- ١٤٦ ، خطاب هيئة التوثيق الأرشيفي – مجلس الأمن الفيدرالي الصادر ٢٠- ٥ - ٢٠٠٤ رقم ١٠ أ/٢٢٥٢ .

٥٠٣ المرجع السابق .

في قائمة معسكر ريازان الخاص رقم ١٧٨ تم تسجيل «فريدمان بوريس نيكولايفيتش» ، وُلد عام ١٩٠٧ ، ووقع في الأسر في السادس من أغسطس ١٩٤١ في المنطقة الواقعة بين سباس- ديمنيسك وفيازما ، وقد نجحت في العثور على مذكرات ب.ن فريدمان، والتي يُطلق عليها «طرقى العسكرية» ، وهي محفوظة في أرشيف مكتبة «روسكي زاروبيج» في موسكو . وقد تم كتابة تلك المذكرات على الكمبيوتر. و يحتل الجزء الأكبر منها الحديث عن عملية ترحيل مؤلفها ، فريدمان من الجزائر عبر مصر في خريف ١٩٤٣ [٥٠٤] . إنضم ب . ن فريدمان مهندس الغزل والنسيج طواعية ، إلى الجبهة في بداية الحرب، ثم سرعان ما وقع في الأسر في قطاع «فيازيمسك» . وقد تم إحتجازه في معسكر في موجيليف ، ثم انتقل منه إلى معسكر في فلنيوس ، ومنه إلى ألمانيا ليعمل ككخراط في مصنع صناعة السيارات التابع لشركة «شوارتسكوف» في قرية فيلداو الواقعة على بعد ٣٠ كم جنوب برلين . ومن هذا المصنع تم نقله ليعمل في فيلق قوات الدفاع الجوي الألمانى . وفي نهاية عام ١٩٤٢ نُقل هذا الفوج إلى إيطاليا ، وفي الثالث عشر من ديسمبر تم نقله على متن سفينة من نابولي إلى تونس . ولم يذهب فريدمان إلى أفريقيا هذه المرة ، حيث قام الطيران البريطاني بإغراق سفينة الفاشيين . و نجح فريدمان في الإمساك بعوامة الإنقاذ ، حيث كان الإيطاليون ، يقومون بإنتشال الحلفاء سيء الحظ من المياه ، وتعاملوا مع فريدمان على أنه جندي من الجيش الإلماني : حيث كان يرتدي الزي الألماني ويتحدث الألمانية بطلاقة ولم يكن بحوزته أية مستندات تدل على جنسيته . تم نقل الأشخاص الذين تم إنقاذهم إلى المستشفي العسكرى في نابولي ، ومنها إلى مصحة كبيرة في سان – ريمو . وهناك تم التحقق من شخصية فريدمان ومن ثَم أعادوه إلى وحدته في سرب قوات الدفاع الجوي المتمركز في سيردينا . وأخيراً ، وفي يوليو ١٩٤٣ تم نقل فريدمان إلى كورسيكا للعمل في المستشفي الألمانى .

في الثالث من سبتمبر من عام ١٩٤٣ ، رفعت إيطاليا الراية البيضاء ، وأطاح هذا الخبر بالحامية الفاشية في كورسيك ، وفي الخامس من نفس الشهر ، هرب فريدمان من المستشفي وتوجه إلى القوات الفدائية الفرنسية ، الذين قاموا بإرساله إلى الجزائر في مطلع نوفمبر ، كما أمدوه بالأوراق اللازمة .

٥٠٤ أرشيف مكتبة «روسكي زاروبيج» ، ملف رقم ١ ، وثيقة ٤٢٩ ، السطور من ١٤٢ : ١٦٣ .

نعود الآن لنقلب صفحات مذكرات ب. ن فريدمان، والحديث بالتفصيل عن عملية ترحيله.

كتب ب. ن فريدمان : «ها نحن قد وصلنا أخيراً إلى الجزائر. وكانت الفرقة الموسيقية تعزف الألحان لاستقبال السفينة، تلك السفينة التي نقلت شحنة من الفرنسيين الذين تم تحريرهم من معسكر الأسر الألمانى . وقد رأيتُهم، وهم ينطلقون نحو الشاطئ وكان كل واحد منهم يتلقى باقة من الزهور. وكان يتعين على الآخرين المرور على رقابة الحدود والجمارك. وقد دخلتُ إلى غرفة بها منضدة طويلة، يجلس عليها عشرة من أفراد القوات المسلحة، وجلست على مقعد في مقابل أحدهم، وقدمت له أوراقي ...، وطلبوا فحص محتويات حقيبة الظهر الخاصة بي، وبعد ذلك إقترحوا أن أذهب إلى ضابط آخر يحمل رتبة أعلى. وقد رمقني بنظرة فاحصة قوية، وأخذ يمطرني بوابل من الأسئلة على طريقة : ما هي بلدك ؟ ما هى الوحدات التي كنت أخدم بها داخل الجيش السوفيتي؟ وما هي الرتب التي حصلت عليها ؟ وكيف وصلت إلى كورسيكا ؟ ثم فجأة قال لي : «أقترح عليك الانضمام إلى الفيلق الأجنبي، لماذا تريد أن تعود إلى الاتحاد السوفيتي ؟ لن تجد هناك الوضع جيداً، لكن هنا ستشعر بأنك في وضع أفضل بيننا» ، إلا أننى رفضت اقتراحه بالرغم من الإلحاح الشديد من جانبه، وأبدى الضابط انزعاجاً وضيقاً شديداً .

أرشدوني إلى طريق الفندق العسكري (القريب من الميناء) ، وقاموا بتسجيلي في الفندق، وأوصلونى إلى صاله كبيرة مليئة بالأسرة، وأرشدوني إلى سرير خال . و في الصالة كنت أستمع إلى حوارات تدور باللغة الإنجليزية، والتي كان يتحدث بها الجنود الإنجليز والأمريكان والكنديون. كان المطعم هنا يعمل طوال اليوم، وكان من حق أي شخص طلب كل ما يحلو له من المطعم دون أي قيود. والطلبات تُقدم مجاناً ، باستثناء المشروبات الكحولية (الويسكي والخمور) . قضيتُ في هذا الفندق يومين أو ثلاثة، وعند تسجيل اسمي به أفصحت لهم عن رغبتي في التوجه إلى السفارة السوفيتية، ولكن أحداً لم يكن يعلم عنها أي شيء. أخبرني ضابط النوبة : «انتظر ريثما نري، ثم نخبرك بها» لم أكن لأسبق الأحداث، فقد كانت المدينة رائعة للغاية، وتتألف من قسمين : القسم الأوروبي : حيث الشوارع الواسعة، والمباني الجميلة والنظام، والمحال الفخمة الراقية، والمطاعم، والمقاهي، أما القسم العربي : فكنت تلمح فيه المباني المتهالكة، والأزقة الضيقة، والقاذورات تملأ المكان، والسيدات يرتدين النقاب. علمت

مجموعة من الجنود الكنديين أنني روسي الأصل ، فرحبوا بي أشد الترحاب ، ونظموا لي حفلة شراب ضخمة في المطعم . واضطررت في الأيام التالية أن أتجنبهم ؛ لأنني لم أكن لأحتمل وليمة الشراب مرة أخرى .

لا أستطع أن أتذكر ما الذي كان يسبق هذا . ولكني أتذكر أنني كنت ورفاقي على الباخرة من البولنديين بصحبة أحد الجنود الفرنسيين نتجول في شوارع الجزائر ، وتم نقلنا إلى مكان آخر . وهو مكان جديد يشبه الثكنة العسكرية إلى حد قريب ، ومن الجائز أن يكون هذا المكان هو مقر القيادة العسكرية للبلاد ، لست أدرى بالضبط.. أسكنوني في حجرة بها عدد من الجنود الفرنسيين . ولم أرى الجنود البولنديين بعد ذلك. وكنت كل يوم أسأل الضابط المناوب : متى سيرسلونني إلى السفارة السوفيتية، ولكن كنت دوماً لا أحصل على أية أجوبة ! وقد إكتشفت وجود روسي آخر في الغرفة المجاورة لي ، تعرفنا على بعضنا البعض . وكان يُدعى فاسيلي ويبلغ من العمر ثلاثين عاماً وكان من سكان مدينة لينينجراد ويعمل سائقاً ، وقد هرب هو الآخر من الأسر الألماني ، وأقام أيضا في كورسيكا . كما أخبرني بأنه قضى هنا أسبوعين ، وهو يعيش بشكل جيد ، ولا يتعجل أمر الذهاب إلى سفارتنا .

مرت الأيام وأنا أزداد قلقاً وتوتراً ، وأدركت في قرارة نفسي أنه من الممكن أن تكون هذه وسيلة للضغط عليَ للموافقة على الإنضمام إلى ذلك الفيلق الأجنبي . نجحت في مقابلة القائد المحلى (ولم يكن هذا أمراً سهلاً) وطلبت بأن ينقلوني على الفور إلى السفارة السوفيتية . وفي اليوم التالي اقتادونى داخل سيارة بجانب فاسيلي ، بينما كان يجلس في الأمام ضابط فرنسي . إقتربنا من فندق فخم للغاية ، وصعدنا إلى الطابق الثاني . أمرنا الضابط بالانتظار بجانب إحدى الغرف ، وطرق الباب ثم دلف إلى الغرفة . وإنتابتنى حالة من القلق : فهذا هو أول لقاء مع ممثل السلطة السوفيتية ، وكنت أتساءل : تُرى كيف سيكون استقبالهم لنا ؟ ثم فُتح الباب بعد ربع ساعة تقريباً ، ودعانا شخص يرتدى ملابس مدنية كان يتحدث الروسية للدخول ثم الجلوس ، ثم بدأ يطرح علينا الأسئلة، وجلس هنالك الضابط الفرنسي الذي كان يرافقنا . وكنت أجيب على الأسئلة مع فاسيلي : اسم العائلة ، الاسم ، محل الإقامة في الاتحاد السوفيتي ، ومتى تم أسرنا ؟ والعديد من الأسئلة الأخرى . «نعم ، هؤلاء هم مواطنونا» ـ هكذا قال بالفرنسية الشخص الذي كان يستجوبنا للضابط الفرنسي ، الذي ودعنا بعد ذلك دون أن يُبدي لنا أية إيماءة .

والآن ، أهلا بكم ، ـ وجه لنا هذه التحية صاحب الغرفة ، وصافحنا ، وقال لنا : «أنا المستشار الأول للسفارة السوفيتية واسمي أفايف إيفان إيفانوفيتش ، وأعتقد بأننا سنكون أصدقاء» ، لقد كان شخصاً طويل القامة ، وسيماً ، وأنيقا ، وفي الخامسة والأربعين من عمره .

أريد قبل أي شيء ،أن أصف لكم الوضع العام ، الذي تشكل في ذلك الوقت (بالقدر الذي أصبح معروفا فيما بعد) . كانت منطقة جنوب إيطاليا والجزر الثلاثة (سيشل، وسيردينيا ، وكورسيكا) تقع تحت سيطرة قوات الحلفاء (قامت القوات الآنجلو-أمريكية بعملية إنزال في جنوب إيطاليا في التاسع من سبتمبر ١٩٤٣ ، وقد ذهبت إلى الجزائر في مطلع نوفمبر) .

تعتبر الجزائر بمثابة الذيل للجبهة الإيطالية ، حيث كان يتم من خلالها إمداد الجيش بالموارد البشرية والسلاح والذخيرة والمعدات الحربية ، بالإضافة إلى المواد الغذائية . وباتت تلك المدينة الجميلة بمثابة خط دفاع تابع للجبهة ، كما أنها عانت ظروفاً عصيبة ، وكان هذا الحال ، ينطبق على كل المدن الجزائرية . وتركزت الموارد المادية الضخمة في المنطقة المجاورة لها ، وكانت المخازن الحربية تمتد على عشرات الكيلومترات ، وتحميها قوة الدفاع الجوي الآنجلو أمريكي الجبارة . وظهرت في الجزائر حكومة فرنسية انتقالية برئاسة د يجول ، وهنا يكمن سر وجود سفارة سوفيتية ، لكي تمثل مصالح الاتحاد السوفيتي في تحرير الفرنسيين من أيدي القوات الألمانية . وكان طاقم تلك السفارة يتألف من أربعة أفراد هم : السفير بوجامولوف[٥٠٥] ، والمستشار الأول أفايف ، والملحق العسكري، بالإضافة إلى السائق . وقد كان بوجامولوف سفيرنا في فرنسا قبل اندلاع الحرب . ولم يكن لديه مقراً للسفارة ، وكان طاقم السفارة يعيش في أحد الفنادق ، ويزاولون فيه مهام عملهم . أقول هنا إننا التقينا فقط مع أفاييف ولم نر باقي طاقم السفارة رُأي العين . وكان أفايف مكلفاً من قبل الحكومة السوفيتية بتجميع المجندين السوفيت الذين يتم تحريرهم من الأسر الألمانى ، والعمل على ضمان إعادتهم إلى أرض الوطن . وكان الأساس هنا هو ذلك الاتفاق المبرم بين الحكومتين السوفيتية والإنجليزية . وتعهدت الحكومة الإنجليزية بتوفير الطعام والملبس للجنود السوفيت ونقلهم إلى مدينة البصرة (في العراق)

٥٠٥ بوجامولوف ألكسندر أفرومفيتش (١٩٠٠- ١٩٦٩) - دبلوماسي سوفيتي . شغل منصب مستشار سياسي في الفترة من ١٩٤٠-١٩٤١ ، مندوب الاتحاد السوفيتي لدي فرنسا ، في الفترة من ١٩٤١-١٩٤٣ ، وسفير الاتحاد السوفيتي لدى حكومات دول الحلفاء في لندن . وحتى عام ١٩٥٠ ، عين سفيراً للاتحاد السوفيتي في فرنسا . وأخيراً شغل منصب نائب وزير الخارجية للاتحاد السوفيتي ثم سفيراً للاتحاد في كل من تشيكوسلوفاكيا وإيطاليا ، أنظر : «القاموس الدبلوماسي» مجلد١ ، موسكو ١٩٧١ ، صـ ٢١٥.

(مدينة البصرة في العراق وليس في إيران د. محمد رياض) ، حيث يتم تسليمهم للقيادة السوفيتية[٥٠٦]. ولتنفيذ هذه الاتفاقية فقد تم إنشاء معسكر ترانزيت على بعد ٢٥ كم من مدينة الجزائر ، يعيش فيه الجنود ، أثناء فترة انتظارهم للعودة إلى الوطن. وكانت تتم عملية النقل في حالة بلوغ عدد العائدين ثمانين فرداً .

نعاود الحديث مرة أخرى ، عن لقائي مع أفاييف ، فبعد مغادرة الضابط الفرنسي استمر حديثي مع أفاييف . أريد الإشارة هنا إلى أن إيفان إيفانوفيتش أفاييف ، ظل في ذاكرتي شخصية محترمة إلى أبعد الحدود . فقد تعامل معنا جميعاً بكل الاحترام والاهتمام بمطالبنا . وبعد عودتي إلى موسكو في عام ١٩٤٦ كانت لدي رغبة شديدة في البحث عنه ؛ كي أعرب له عن مشاعري النبيلة نحوه وخالص الشكر والإمتنان لشخصه. ولكني للأسف لم أفعل ذلك ، حيث كانت تلتصق بى صفة «الشخص المشبوة» ، مما سيعود عليه بالضرر . اتضح من خلال أول حديث لى معه ، أننا من موسكو ونعيش في منطقة زاماسكوفاريتشي ، وأن كلانا ينتمي إلى طبقة المثقفين ؛ ولهذا فقد تعامل معي بثقة بالغة .

قام إيفان إيفانوفيتش بتوصلينا إلى المعسكر بالسيارة ، وفي أثناء الطريق قال لي إنه سيجعلني رئيساً للمعسكر . يتألف المعسكر من مجموعة ثكنات خشبية ، وفي كل واحدة توجد عدة غرف . تحتوي كل غرفة على سرير مجهز بشكل جيد ، ودواليب للملابس والأحذية ، بالإضافة إلى جهاز راديو . وفي منزل منفصل يوجد المطبخ وبه كافة التجهيزات اللازمة ومخزنات للمواد الغذائية . وهنا الحجرة التي كنتُ أعيش فيها بصحبة الطباخ ومساعده ، وكان إثنان من المجندين السوفيت اللذين ينتظران إعادتهم للوطن . وكان هناك أيضا مخزن للملابس والأحذية : حيث كان يتعين على كل نزيل جديد بالمعسكر ،أن يرتدي زي الجنود الإنجليز ، وقد ارتديتُه بالفعل . وها قد غادرت المجموعة الأولى من الجنود متوجهة إلى الاتحاد السوفيتي ، والتحقت أنا بالمجموعة الثانية[٥٠٧] .

أصبحتُ «رئيساً» للمعسكر ، وكنتُ أتابع الالتزام باللوائح ، وإحصاء عدد أفراد المعسكر ، واستقبال النزلاء الجدد ، وكانت كل أوامري مُلزمة ، وكان على الجميع السمع والطاعة . كان الطباخ يقوم بإستلام المواد الغذائية وعمل تقرير عن المصروفات،

٥٠٦ إيضاح مزدوج : مدينة البصرة توجد في العراق وليس في إيران وتم نقل قدامى أسرى الحرب إلى القيادة السوفيتية في طهران وليس في البصرة .

٥٠٧ إيضاح : وفقاً للإستعلام من أرشيف هيئة الأمن الفيدرالي ، كان قد تم ترحيل مجموعتين في ذلك الوقت من المعسكر .

وتسليم الزي الإنجليزي للمجندين الجدد ، وأصبح هو المساعد الخاص بي . كان في الخامسة والعشرين من عمره ، وهو شخص يتمتع بذكاء محدود ، منظم ، وعلى دراية جيدة بعمله ، كنتُ أناديه باسم سيرجي . ولا يفوتني الإشارة هنا ، إلى أن الحصة التموينية الخاصة بالجندي الإنجليزي (المحارب) ، كانت تتضمن دائما شاياً بالحليب (معلبات) ، وورق الحمام .

كان من حق كل فرد بالمعسكر، الخروج منه والتجول كما يشاء . فقد تجولتُ أكثر من مرة في الجزائر . وللقيام بذلك كان ينبغى ، أن نخرج إلى الطريق السريع الذي يبعد عن المعسكر بحوالي ٤٠٠ متر . وعلى الطريق كانت السيارات العسكرية تنطلق ذهاباً وإياباً ، ولم تكن هناك تلك القاعدة أنه إذا لم تتوقف السيارة الأولى ، لا تتوقف الثانية . وكان غالبية من يجلس خلف عجلة القيادة في السيارات الأمريكية هم الزنوج، وكانوا يسيرون بسرعة جنونية ، ولا يخفضون السرعة حتى عند الاقتراب من السيارات الأخرى، فعندما ركبت معهم ذات مرة ، كادت دقات قلبي أن تتوقف رعباً ، وبدت هناك كارثة حتمية لا مفر منها ، ورجعنا إلى المعسكر بنفس تلك السرعة الجنونية .

كان أفاييف يزور المعسكر بانتظام ويتجول عبر أقسامه ، ويتحدث مع الناس . وقد حذرني في إحدى جولاته من أنه في اليوم التالي ، سيصل إلى المعسكر (لأول مرة) مجموعة جديدة تضم بعض المحاربين القدامى في الألوية الدولية ، والتي كانت تحارب في إسبانيا لصالح الجمهوريين . وبعد فوز فرانكو ، فروا هاربين إلى فرنسا ، حيث تم اعتقالهم وحبسهم في جنوب البلاد . وبعد احتلال الألمان لفرنسا وغزوها الإستعماري لدول شمال أفريقيا (الجزائر والمغرب) [٥٠٨] ، قامت حكومة بيتان بإرسالهم إلى معسكر المجندين الجدد المنتشرة في واحات القطاع الشمالي للصحراء [٥٠٩] . لم يساهم طرد الألمان من أفريقيا كثيراً في تغيير الوضع : حيث ظلت قيادة قوات الحلفاء تعتقل «أفراد تلك القوات الدولية» لوقت طويل في معسكرات الصحراء ، وذلك على الرغم من مطالبهم الملحة حول منحهم الفرصة لمحاربة جبهة الألمان ، ضمن صفوف قوات الحلفاء . وفي النهاية تم إخراجهم من الصحراء دون

٥٠٨ إيضاح : لم يكن هناك قوات احتلال ألمانية في المغرب ولا الجزائر ، وإنما كانت تخضع إدارتهم لحكومة الجنرال بيتين المتعاونة مع العدو المحتل .

٥٠٩ إقرأ عن هذا المعسكر في مدينة جلفا بالجزائر ، أنظر : روباكين ، ألكسندر ، مذكرات فرنسية ١٩٣٩- ١٩٤٣ ، موسكو ١٩٤٧ ، صـ ١٩٥ : ٢٢٨ .

إعطائهم أي نوع من أنواع السلاح ، وتم استخدامهم في خدمة المستودعات العسكرية في مؤخرة الجيش وكان لهذا الغرض خلفية سياسية : حيث كان مقاتلو الكتائب الدولية شيوعيين راسخين ، وكانت قيادة قوات الحلفاء تتعامل معهم بدون ثقة بل وبكراهية في بعض الأحيان ، ولم يكونوا يرغبون في رؤيتهم ضمن صفوف قواتهم . أما الحكومة السوفيتية فقد كانت ترغب من جانبها ، في تقديم الدعم المعنوي لشركائهم في الفكر والعقيدة، فأعلنت أنها ستسمح لأفراد هذه الكتائب بالانتقال إلى الاتحاد السوفيتي ، وبناءً على ذلك ، فقد اتفقت مع حكومات كل من إنجلترا وأمريكا على نقل الراغبين إلى أراضي الاتحاد السوفيتي .

ضمت المجموعة التي استقبلتُها حوالي ٤٠ جندياً ألمانياً ، ومجرياً ، وبولندياً ، وتشيكياً، وعدد من دول البلطيق وفرنسي واحد . وكان الألمان من أكثر الأعداد ، حيث وصل عددهم إلى خمسة عشر جندياً . وكان أغلب الوافدين من الضباط . وكان هؤلاء الناس بالطبع غير عاديين ، وكانت أتعامل معهم على سجيتى ، وسادت بيننا علاقات طبيعية جدا ، فقد كانوا دائمي الحفاظ على النظام والالتزام داخل المعسكر . وكانوا جميعهم تقريباً يتحدثون الروسية ، وقد أصبح أحدهم صديقاً لي ، كان طبيباً ، وهو يهودي من ريجا ، ويتحدث الألمانية والفرنسية ، وقام بناءً على طلبى بترجمة الوثائق والبيانات العسكرية الخاصة بى إلى اللغة الروسية .

في السابع من نوفمبر أقيم حفل عشاء فخم ، وقد أبدع سيرجي في إعداد الطعام وقدم لنا طعاماً لذيذاً وشهياً ، فيما تناول مقاتلو الكتائب الدولية كميات كبيرة من الخمور وصل أفاييف وهنأنا بالعيد . وأعلن عن خبر استيلاء القوات السوفيتية على كييف ، وعندئذ دوى التصفيق الحاد في أرجاء المكان . وسرعان ما وصل عدد الأفراد بالمعسكر إلى مائة. وقال أفاييف : «استعد للرحيل» واقترح تقسيم المجموعة إلى فصائل، وتشكيل سرية . وأضاف : «ستكون أنت قائداً لهذه السرية وأنا أقدمك كملازم أول» فأجبته قائلاً: «ولكني مازلت برتبة رقيب» فأجابني : «من الضروري فعل ذلك لأن جميع أفراد الكتائب الدولية يحملون رتبة ضباط ، ولا يصح أن من يرأسهم يكون في رتبة رقيب».

تم تشكيل فصلتين من قوات الكتائب الدولية وثلاث فصائل من الجنود السوفيت . وقمتُ بتعيين قادة تلك الفصائل (وكان من بينهم فاسيلي الذي كان يحمل أيضا رتبة رقيب) . لابد من الإشارة هنا إلى أنه لم يكن بين المجندين السوفيت من يحمل رتبة ضابط . وقال لي أفاييف أيضا إنه طالما أنه لا يوجد حامل للحقيبة الدبلوماسية في السفارة ، فقد وكل إليّ إذن مهمة توصيل البريد الدبلوماسي إلى طهران . وأضاف : «هذه المهمة تتطلب شخص آخر» . وقد تم اختيار هذا الشخص بناء على توصيتي ويُدعى أندريه .

جاء يوم الرحيل وقبل هذا اليوم ، أخذونا مع أندريه إلى المدينة . وفي غرفته سلم أفاييف كل واحد منا حزمة من الأوراق ، وقال مازحاً : « لايأخذها منكم أحد إلا على جثثكم « كان يوجد بالقرب من معسكرنا وحدة من الثكنات التي لا يفصلها عنا أي سور . كان يعيش بها الجنود البولنديون من وحدات جيش الجنرال أندرس ، الذي انتقل بموافقة الحكومة السوفيتية من أراضي الاتحاد السوفيتي (بدون سلاح) ليكون تحت تصرف الحكومة البولندية في المنفي . قال لي أفاييف : « يبدو أنهم سيراقبون عملية التشكيل الخاصة بنا ، ولهذا فمن الضروري ، أن تسير الأمورعلى ما يرام» . وفي الصباح قمتُ بجمع قادة الفصائل، وشرحت لهم الوضع ، وشددتُ على الحفاظ على النظام أثناء عملية التشكيل ، ومايستجد من أمور .

ها قد تم الانتهاء من تشكيل السرية ، وكان البولنديون يخرجون من ثكناتهم ويتابعوننا لحظة بلحظة بعيون واسعة . توجة أفاييف إلى السرية قائلاً : « أقدم لكم قائد السرية الملازم أول بوريس فريدمان «تقدمت إلى الأمام قائلاً في صيغة الأمر :» على كل السرية أن تطيع أوامري ! « كل شيء يسير بشكل جيد ، وبدا أفاييف راضٍ عن الحديث . وتظاهرتُ بأنني القائد الحاسم ، وظللتُ هكذا إلى أن وصلنا إلى حدود الاتحاد السوفيتي . وصلنا إلى الطريق السريع بنفس تشكيل السرية ، وكانت السيارات في انتظارنا ، ثم ركبنا ، وانطلقنا . وقامت بتوصيلنا إلى محطة سكك حديد الجزائر الرئيسية ، جلسنا في عربات البضائع وقضينا من ١٠-١٢ ساعة وسط البضائع إلى أن وصلنا إلى مدينة فيليبفيل الجزائرية ، وكان أفاييف في رفقتنا أثناء الطريق كانت هناك استراحة طويلة في مدينة قسطنطينة ، كنا في انتظار أن ينقلونا إلى أحد القطارات العابرة .

أحكي لكم عن واقعة حدثت لنا . عندما أوضح أفاييف أننا سنتحرك في خلال ما يقرب من أربع ساعات ، قررنا جميعاً - بمن فيهم أنا - التجول في المدينة . وكان وقت الغسق . قال أفاييف أنه من الأفضل عدم التجول بمفردكم ، حيث تقف إلى جانب عربات القطار سرية من كتائب جيش أندريس ، في انتظار الذهاب إلى الجزائر . لقد كانت مشاعر العداء للسوفييت لدى البولنديين واضحة للغاية . وحدث أن تأخر أحد زملائنا ، وعندما كان في طريقة للحاق بنا ، قام البولنديون باعتراض طريقه وضربه بشدة ، أثار هذا حالة من الاستياء ، سواء لدى الزملاء السوفيت ، أو أفراد القوات الدولية ، وقد بذلت أنا وأفايف جهوداً مُضنية للحيلولة دون حدوث مشاجرة .

صعدنا على متن سفينة إنجليزية كبيرة ، كانت في انتظارنا في مدينة فيليبفيل . وقدمني أفاييف إلى الضابط الإنجليزي الذي التقينا به قائلاً : « هذا قائد وحدتنا» ثم قاموا بتسكيننا في عنبر فسيح ومريح ، حصل كل مجند على أرجوحة شبكية ، يتم طيها أثناء النهار ووضعها داخل الدولاب ، وفي المساء تعلق في أعمدة خاصة . وقبل أن يودعنا أفاييف تمنى لنا رحلة سعيدة .

في الصباح الباكر بدأت السفينة تتحرك بعيداً عن الميناء ، نحو وجهتها المنشودة وكنا نسير ضمن قافلة مكونة من ١٠-١٥ سفينه تجارية عملاقة ، تحرسها بوارج حربية . كانت قافلة السفن تتحرك لتعبر مياه المحيط الهادىء إلى مسرح العمليات العسكرية في الشرق الأدنى ، وهي محملة بالسلاح والذخيرة والمؤن الغذائية والأفراد . لقد كنا نشغل نصف العنبر تقريباً ، والنصف الثاني كان يشغله المجندون الإنجليز في زيهم المدني . بدت مياه البحر المتوسط ساكنة وهادئة ، فقد كنتُ أمضي معظم الوقت فوق سطح السفينة لكي أستمتع بمشاهدة السماء الزرقاء ومياه البحر ، ولا يمكن أن ينمحي من ذاكرتي ذلك المشهد ، لقافلة السفن التي كانت تمتد لمسافة ١٠ كم .

كان هناك نظام يومي صارم على متن السفينة : فكان الجميع ينهض في السابعة صباحاً من النوم ، ويأخذ حمامه ، وكان موعد تناول وجبة الغذاء يحين في الثانية ظهراً ، ووجبة العشاء كنا نتناولها في السابعة ، لينتهي اليوم في الثامنة مساءً والعودة إلى العنبر. وكان يقدمون لنا الطعام في العنبر ، وكانت الموائد الكبيرة تتيح الجلوس بشكل مريح لتناول الطعام . وكان يقوم أفراد النوبة من بيننا بأعمال التنظيف والتنظيم .

وفي كل يوم بعد الإفطار كان ضابط النوبة يتفقد المكان ، وكنا نقوم معه بالإشراف على النظام في الغرف التي نشغلها . وكان المكان تسوده ظلمة حالكة ، حيث كان يتم إغلاق كافة المصابيح على متن السفينة ، كما أن المداخل التي تصل إلى سطح السفينة كانت مغلقة بستائر ضخمة . وكانت الغرف الداخلية تضاء طوال الليل والنهار ، وبعد اطلاق إشارة العودة للعنابر يتم إغلاق البعض من تلك المصابيح . وبالنسبة إلى الصعود على سطح السفينة ، فقد كان ممنوعاً ، الا أنه لم تكن هناك رقابة مشددة على هذه المسألة ، وقد إستفدتُ منها كثيراً .

انضم إلينا العقيد الإنجليزي الذي كان يتحدث الروسية بطلاقة ، وكنا نلتقي معه كل يوم ، فقد كان شخصاً محبوباً ، وكان يهتم بالسؤال عن كل فرد ، ويستعلم بنفسه عما إذا كنا راضين عن مستوى الطعام الذي يُقدم بالسفينة ؟ وهل لدينا أي طلبات؟ وما إلى ذلك من أمور . كنتُ أتحدثُ معه عن بعض الأشياء التي تخصني . ثم حكى لي أن السفينة التي كان يبحر على متنها منذ عدة شهور ، تم نسفها بواسطة أحد الطوربيدات التابعة لإحدى الغواصات الألمانية ، وأنه ظل يسبح داخل مياه البحر قرابة الثلاث ساعات قبل أن يتم التقاطه ، وقلت له «إن هذا يعد مشهداً مألوفاً» وأنا أشرح له لماذا يعد هذا مشهداً مألوفاً !

في أحد الأيام دوى صفير الإنذار بغارة جوية ، وكان يتعين على الجميع مغادرة سطح السفينة المكشوف ، ولكني استطعتُ البقاء على السطح لأراقب ما يحدث . فكان إنطلقت مجموعة من المناطيد من كل سفينة حربية أوتجارية ، وبدا واضحاً أن المجال الجوي فوق قافلتنا قد أُغلق تماماً . بينما ظهرت الطائرات الألمانية على ارتفاع كبير، وتم فتح النيران من المدافع المضادة للطائرات . ولم تكن هناك ضربات بالقنابل ، وتم وقف الغارة سريعاً . وقال لي العقيد إنه من الممكن أن يعاود الألمان الغارة مرة ثانية بالليل، ولهذا تم تغيير خط سير قافلة السفن .

صعدت إلى السطح في منتصف الليل تقريباً . وكانت الظلمة حالكة للغاية ، حتى أنه لم تكن هناك نجمة واحدة في السماء . ولكن ظهرت من بعيد ومضات مضيئة، كانت عبارة عن قنابل إضاءة ، يلقي بها الألمان وكان الهدف منها البحث عن قافلتنا ، إلا انهم لم يتمكنوا من العثور علينا . وفي اليوم التالي بدت الأمور هادئة ، وتجاوزت القافلة منطقة الخطر القريبة من جزيرة كريت والتي تتمركز بها القواعد الجوية للألمان .

تعامل معنا طاقم السفينة بمنتهى الود والاحترام، وذلك في الوقت الذي كان فيه شباب الإنجليز، جيراننا في نفس السفينة لم يعيرونا أدنى اهتمام بالرغم من معرفتهم بنا.

كان يُقترح علينا عمل جولات في السفينة، ولكنها لم تكن تخرج عن إطار تلك الجولات الثلاثة: جولة لفحص السفينة بشكل كامل، وجولة للتعرف على الأسلحة الموجودة بها (حيث كان يوجد على سطحها مدفعية مضادة للطائرات، ومدافع رشاشة ثقيلة مضادة للطائرات) وجولة لتفقد قسم الماكينات. وقد قمتُ بجولة في قسم الماكينات الذي أدهشني بشكل كبير.

ذات مرة سألني العقيد عما إذا كان بإمكاني تنظيم كورال لعمل حفلة في صالون السفينة، خاصة وأنه من المعروف أن الروس ينشدون الأغاني بشكل جيد. اتفقتُ مع الزملاء واستطعنا تشكيل كورال من المغنيين الذين قاموا بعمل بروفات لبعض الأغاني الشعبية الروسية والسوفيتية المعروفة، وأقيمت الحفلة. وإمتلأ الصالون عن آخره بطاقم السفينة والبحارة العسكريين، وكان هناك شخصيات مدينة رفيعة المستوى، وحقق كورالنا الغنائي نجاحاً باهراً.

ها نحن قد اقتربنا من الشاطيء، ودخلت السفينة في المياه الإقليمية المصرية عند قناة السويس، ثم إقتربنا من مدينة بورسعيد. غير أن عرض قناة السويس، الضيق لم يكن ليسمح بمرور السفن إلا في شكل سلسلة واحدة تلو الأخرى. توقفت حركة سير قافلة السفن وبدأت عملية التجميع الضرورية للسفن، وظللنا في انتظار دورنا لمدة تزيد عن ساعتين وتحركنا في النهاية. وقبل الدخول إلى القناة شاهدنا مجموعة كبيرة من الجزر الصغيرة وكنتُ أقضى طوال اليوم فوق سطح السفينة (بعد أن تم رفع حظر الصعود إلى سطحها) وأنا أستمتع بمشاهدة تلك المناظر الخلابة. بالنسبة لشواطئ القناة فكانت مبنية بالخرسانة الأسمنتية وكان يحيط بها الشاطئ الرملي والأحجار، ونادراً ما كنت تجد أشجار النخيل، ولم يكن بإمكان المرء أن يلمح أي منازل بالقرب من القناة. وبعد ٢٠٠ـ ٣٠٠ متر، كنا نجد على جانبي القناة مباني كانت مخصصة للخفر والحراسة، بالإضافة إلى المناطق العسكرية: فالقناة محصنة ومعززة بشكل جيد. وكان المصريون المسئولين عن الحراسة، ويتضح ذلك جلياً من البشرة السمراء للجنود. أتذكر هنا واقعة ما: كان إثنين من جنود الحراسة يتابعان سفينتنا، ثم فجأة أخذوا في الضحك بصوت عالٍ

حتى تلألأت أسنانهم البيضاء ، ثم أنزلوا سراويلهم ، وأبرزوا لنا مؤخرتهم ، وهم يرقصون بطريقة بربرية . وأخذ الأوروبيون ينظرون إليهم باحتقار شديد ، ولم يفهم الأوربيون مغزى هذ الأمر ! هل هذا بسبب العلاقة غير الطيبة مع البيض ، أم هي ومضة مرح فجائية من إنسان بدائي؟

كانت القافلة تسير في مياه القناة بسرعة بطيئة . وفي المساء دخلنا نطاق إحدى البحيرات الكبيرة ثم قررنا المبيت بالقرب من مدينة الاسماعيلية . وبعد تناول طعام العشاء صعدت إلى السطح ، وكانت الدنيا مظلمة ، وتجمدت في مكاني من هول ما رأيت حيث كان هناك طوفان من الأضواء يتلألأ أمام ناظريّ (وكان الحال في مصر مثله مثل الحال في الدول المحايدة ، لم يكن بها أي تعتيم للأضواء[٥١٠]) . إغرورقت عيناى بالدموع ، فقد قضيتُ عامين كاملين في ظلام دامس ، وبدت تلك المدينة المضيئة معجزة بالنسبة لي . توقفنا بالليل ، ثم تحركنا بعد ذلك في الصباح ، وقضينا في المياه حوالي ست ساعات لكي نصل إلى مدينة السويس . وعبرنا القناة ثم اقتربنا من الشاطئ واستكملت القافلة طريقها نحو المحيط الهادىء .

وقبيل التوقف بوقت قصير ، جاء إلينا العقيد الإنجليزي ؛ لكي يودعنا ، وقد شكرناه على حسن معاملته ، والظروف الجديدة التي هيأها لنا ، وقد أشاد بحرص مجموعتنا على النظام واحترامه والمحافظة عليه . وفجأة انتحى بى جانبا وقال لى بصوت منخفض : «لماذا ستعودون أدراجكم إلى الاتحاد السوفيتي ؟ سيكون وضعكم هناك صعباً وغير متوقع، إبقوا معنا فهذا سيكون أفضل لكم ، وها أنا أقدم لكم اقتراحاً رسمياً بذلك» ، وكان ردي واضحاً، فمد العقيد يديه وصافحني وهو يتأسف على رفضي لهذا الاقتراح وتمنى لنا كل الخير .

نزلنا إلى الشاطيء ، وركبنا قطار الركاب ووصلنا إلى القاهرة ، ومن هناك استقلينا قطاراً آخر لنصل سريعاً إلى المحطة الرئيسة بالإسكندرية ، حيث كانت السيارات في انتظارنا هناك لتقلنا إلى المعسكر الإنجليزي المتواجد على أطراف المدينة . وقد كان معسكر ترانزيت مزوداً بكل أسباب الراحة . تم توزيعنا في خيم كبيرة أرضيتها مصنوعة من الخشب ومغطاه بمشمع ، وحصل كل واحد منا على سرير بالفراش . قضينا داخل هذه المخيمات أسبوعين و نحن في انتظار الرحيل . وقد مال إلينا ضابط إنجليزي يتكلم الروسية بطلاقة . كان شخصاً ذكياً وفي نفس عمري . وكان وسيماً ومهذباً،

٥١٠ لم تكن مصر بالفعل أعلنت الحرب على ألمانيا في نهاية ١٩٤٣(حدث هذا في ٢٦ فبراير/ شباط ١٩٤٥) ، ولكن غياب العتمة والظلام هنا لا يعود لهذا السبب المذكور ، بل لأن مصر كانت في المؤخرة .

وهو ابن لأحد الأمهات الروسيات المهاجرات وأب إنجليزي. وكان حريصاً على أن تسير حياتنا في المعسكر دون أية مشاكل. كنتُ ألتقي معه يومياً، وكنا نجد الوقت الكافي للأحاديث الطويلة الممتعة، في كافة الموضوعات. كان يروق لي هذا الشخص العظيم ولكنه قال لي ذات مرة: « أنا أراقبكم.. ! أنت ضابط حقيقي !» .

بعد يومين من وصولي للمعسكر، جاءني شخص في ملابس مدنية وقدم نفسه على أنه موظف في القنصلية السوفيتية، وأخرج بطاقة العمل الخاصة به، وقال لي إن مهمته تتمثل في العمل على القضاء على أي عراقيل تظهر أثناء إقامتنا، وألا يكون هناك أي تأخير في عملية نقلنا . كان هذا الشخص في الخامسة والعشرين من عمره، وكان يتعامل معنا ببساطة، وود. وقد أصبحنا أصدقاءً له، وقد أدركت سريعا أنني أتعامل مع موظف يعمل في جهاز أمن الدولة . وكان يقطن في أحد الفنادق الواقعة في وسط مدينة الإسكندرية.

كان المعسكر قريباً من محطة السكة الحديد، ولكي نصل إلى المحطة الرئيسة بالمدينة كان يتعين علينا عبور بعض المحطات بقطار الضواحي. وكثيراً ماكنت أتواجد في الإسكندرية، وهي تشبه إلي حد كبير مدينة الجزائر. وكانت مقسمة إلى قطاعين: أوروبي وعربي، لكن الأحياء الأوروبية بمدينة الإسكندرية كانت أكثر فخامة عن مثيلاتها بالجزائر، حيث كان بها مبانٍ غاية في الروعة والجمال، ومحلات فاخرة مليئة بالبضائع، وعدد هائل من المطاعم والمقاهي، والشعب حسن المظهر. وفي المساء نرى الشوارع والطرق مفعمة بالأنوار، وأكسبت الإضاءة الخاصة بالإعلانات المكان مزيداً من الجمال. وهنا يتضح لنا الفرق بين المدينتين: حيث كانت الجزائر مدينة تابعة للجبهة، وكانت تعيش في ظلام دامس، أما الإسكندرية فهي مدينة محايدة لم تعش أوقات الحرب العصيبة، ولم يكن مفروضاً عليها أي نوع من القيود[٥١١] . أما بالنسبة للأحياء العربية بالإسكندرية فقد كانت أشبه بالعشوائيات، وكان محظوراً على الجنود الدخول إلى تلك الأحياء لعدة أسباب: أولا- كانت الشوارع مليئة بالعاهرات، وبيوت الدعارة التي يعمل بها مناديون ينادون على المارة ، وكانت القيادة تخشى علي الجنود الإصابة بالأمراض التناسلية، ثانياً: كان البعض في تلك الأحياء العشوائية كثيرا ما يقوم بالهجوم على الأوروبيين، ومن يلبسون الزى العسكرى أيضا بغرض السرقة.

٥١١ قام سلاح الطيران الفاشي من ١٩٤٠- ١٩٤٢ بشن حوالي ٢٢٩ غارة جوية على الإسكندرية، مما كبدها خسائر فادحة ودمر المدينة. مزيد من التفاصيل أنظر: أليكسي، الأسقف برياشيفسكي «سماء النيران – ملحمة الإسكندرية» يوميات قديس ١٩٤٠-١٩٤٢ « صـ ١٤٨، والفترة التي يصف فيها فريدمان البلاد كانت قد عادت إليها الحياة بشكل طبيعي .

ولذلك كانت الشرطة العسكرية الإنجليزية ، تقوم بعمل دوريات داخل الأحياء العربية العشوائية ، وكان من يتم القبض عليه من الجنود ينتظره عقاب رادع .

ذات مرة ضللت الطريق وعرجتُ بطريق الخطأ على إحدى المناطق العشوائية في الحي العربي ، وقبضوا علىَ ، إلا أنه قد تسنى لي أن أوضح لهم أنني جندي روسي ، وعندما تبينوا من ذلك أصابتهم حالة من الاندهاش وتعاملوا معي بشكل ودود وأطلقوا سراحي ونصحوني بمغادرة تلك العشوائيات في التو ، واللحظة . كان «جيبيست» يأتي إلى المعسكر كل صباح ، وكنتُ أبلغه بأحوال المعسكر ، ثم يرحل سريعا . وعندما توطدت علاقتى به كنا نتجول سوياً بالمدينة . سبق وأن دعاني للذهاب إليه في الفندق الذي يقطنه ، وقام بالإتصال بأفاييف في الجزائر ، وكنتُ سعيداً جداً بالحديث مع إيفان إيفانوفيتش عبر الهاتف ، الذي كان مهتماً بكيفيه وصولنا وكثير السؤال عن حالنا. وذات مرة ذهبتُ بصحبة جيبيست إلى السينما لنشاهد أحد أفلام هوليوود الموسيقية ، وقد ترك هذا الفيلم إنطباعاً جميلاً في نفسي . من المثير للدهشة أنني لم أستطع رؤية مثل هذه الموسيقى في الاتحاد السوفيتي.

ذات مرة دعاني الضابط الإنجليزي لتناول الطعام في المطعم الخاص بالضباط . وكنتُ أرتدي زي الجنود ، إلا أنهم منعوني من الدخول ، حيث كان محظوراً على الجنود الدخول إلى هذا المطعم . وقال صديقى الضابط إنني معه ، وقضيت أمسية رائعة بصحبة الضباط الإنجليز . كان الطعام رائعاً ، وكنتُ مشدوهاً بالأوركسترا وغناء المطربة .

ذات يوم جاءني أحد الأشخاص يرتدي زي الضباط ، وكان في العقد الخامس من عمره ويتحدث الروسية بطلاقة ، قال لي إنه سعيد بمقابلة ضابط روسي ، وأخبرني أن هناك جالية كبيرة من اليهود تعيش بالإسكندرية ممن هاجروا من الاتحاد السوفيتي ، وأوضح لي أنه هو وعائلته ينتمون إلى تلك الجالية[٥١٢] . واختتم حديثه قائلاً : «سنكون سعداء إذا ما قمت بزيارتنا» . وقد اتفقنا على موعد اللقاء وأعطاني العنوان . وإقترحتُ على جيبيست مرافقتي في تلك الزيارة وقد وافق على الفور.

٥١٢ يبدو أن هنا يوجد إيضاح : فمن المرجح أن يكون هؤلاء الأفراد قد غادروا من روسيا قبل ثورة ١٩١٧ ولا توجد أية معلومات عن هجرة اليهود من روسيا إلى مصر في سنوات ما بين الحرب . يقدر عدد اليهود الروس في مصر عام ١٩٤٣ بحوالي ٨٠٠ يهودي كان يعيش معظمهم في الإسكندرية . أنظر : أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف ٨٢ ، حافظة رقم ٥ ، وثيقة رقم ١١ ، السطور من ٢٦-٢٧ .

استقبلونا هناك بحفاوة . وكان هناك الكثير من الأفراد الراغبين في مقابلة الضابط الروسي . فقد كان الروس أبطالاً في نظر الحاضرين هذا اللقاء ، وقد استشعرنا هذا بشكل واضح . فالكثير هنا يتحدث الروسية وكانت المائدة عامرة بالطعام و بزجاجات الخمر . مر الوقت في أحاديث ممتعة ، أغانٍ ورقص . وإقترب مني مستضيفي قائلا بصوت خفيض أن هناك بولنديين يعيشون في الغرفة المجاورة ، وهم ممثلي الحكومة البولندية في المنفي ، وما إن علموا بوجود روس عندنا ، حتى وجهوا إلينا الدعوة للذهاب إليهم . ضحك جيبيست ، وقال إنه محظور عليه الذهاب إلى هناك ، وأضاف موجهاً كلامه إليَّ : «إذهب أنت» ولكني رفضتُ ، وقد فهم المضيف مغزى حديثنا .

في الأيام التالية ، كنتُ أتردد على تلك الأسرة وكانوا يقابلونني بترحاب شديد . كنتُ أتذكر ذلك الجو العام الذي استشعرته في كورسيكا في منزل الفنان الرسام . إنني أتذكر جيداً هذه العائلة الطيبة . وذات مرة طلبت من ربة تلك الأسرة ، أن تساعدني في شراء زوج من الأحذية لزوجتي (وكان معي النقود الكافية) ، وفي اليوم التالي ذهبنا إلى المحال واشترينا الأحذية . وفي مرة أخرى بناءً على اختيارها قمتُ بشراء ساعة يد سويسرية من أحد محلات الساعات التي كانت تشغل الدور الأول في جميع بنايات أحد الشوارع ، وكان أصحاب تلك المحلات من الأرمن . ومن الجدير بالذكر ، أنه كانت هناك جالية كبيرة من الأرمن تعيش في الإسكندرية .

عندما حان موعد الرحيل ، انضم إلى مجموعتنا اثنان من الضباط الروس (برتبة ملازم)، وكانوا قد جاءوا إلى المعسكر قبل وصولنا إليه ، وكذلك ثلاثة من أبناء المهاجرين الروس «فتى وفتاتان» أعربوا عن رغبتهم في الانضمام إلى صفوف الجيش السوفيتي لمحاربة الفاشيين، وقد سجلتهم جميعاً في قائمتي .

حان يوم الرحيل وجاء أصدقائي اليهود لوداعي ، وساعدوني وحملوا عني حقيبة السفر التي حلت محل حقيبة الظهر ، التي كنت قد أتيتُ بها . وفي الصباح قمت بتسليم كافة مستلزمات الفراش التي تسلمتها مجموعتنا ، منذ وصولنا في أول يوم لمسئولي المهمات الإنجليز ، وكان ذلك في حضور صديقي الضابط الإنجليزي ، الذي قال شيئاً ما لمسئولي المهمات ، فقام هؤلاء بإعطائي بطانية قائلين لي : «ستنفعك هذه» وقد أخذتها معي إلى موسكو . وطلب الأصدقاء اليهود أن أقوم بتوصيل بعض الساعات الذهبية ، والمشغولات الذهبية إلى أقاربهم الذين يعيشون داخل إحدى مدن الاتحاد السوفيتي . وقالوا رداً علي رفضي : «لا تقلق سيأتون إلى موسكو من أجل أن يتسلموا هذه الهدايا» دون أن يدركوا

الأسباب التي دفعتي إلى ذلك ، وبدأت أوضح لهم أن الظروف التي تنتظرني في الوطن ، لا يمكن التنبؤ بها ، ومن الممكن أن يكون الوضع به مزيداً من التعقيدات ، وفي نهاية المطاف إستطاعوا أن يتفهموا وجهة نظري بشكل صحيح .

انتقلنا هذه المرة عبر قطار الركاب ، وبرفقتنا ذلك الضابط الإنجليزى ، الذي كان يرافقنا في المعسكر . وكان معنا جيبيست ، ولكنه في عربة أخرى من عربات القطار أثناء الرحلة مررنا على القاهرة ثم الاسماعيلية ، وتحركنا ليلاً لعبور جسر قناة السويس ، وعبرنا حوالى ٢٠٠ كم في فلسطين بطول شاطئ البحر المتوسط حتى حيفا [٥١٣] . ثم نزلنا من القطار في حيفا . وكان الصباح مشمساً ، واستقبلونا بكل ترحاب ، وعزف الأوركستر النحاسى ، وكان على المنصة موائد طويلة عليها أطباق مليئة بالسندوتشات ، هذا إلى جانب أطباق الفاكهة ، وزجاجات العصير والمياه المعدنية ، وأنواع من الخمور المحلية الصنع وكانت الفتيات اليهوديات يرتدين الزي العسكري ، يرحبن بنا بابتسامة عريضة . ثم ودعتْ جيبيست وقال لي : «إلى اللقاء في إيران» .

إضطررنا إلى عبور صحراء سيناء وصولاً إلى بغداد [٥١٤] ، وكانت المسافة تقدر بألف كيلومتر . كان في انتظارنا حوالي عشرين سيارة نقل عسكرية مزودة بكافة الإستعدادات المناسبة لنقل الأفراد . وهنا عانقت الضابط الطيب الذي كان بمثابة الراعي لنا في المعسكر ، فلم يكن باستطاعته السفر معنا لأكثر من ذلك . وكان مساعدي سيرجي يتسلم الوجبات الغذائية الجافة للجميع لعدة أيام ، وقلت لهم آمراً : «إلى السيارات انطلقوا».

في السيارة الأمامية كان يركب قائد موكب السيارات ، وهو ضابط إنجليزي عجوز ومرح ، ولكنه متعجرف بعض الشيء . جلستُ في السيارة الثانية بجوار السائق ، وفي الخلف كان يجلس سيرجي مع مساعديه ، بجوار المؤن الغذائية الخاصة بنا . وكان خلفنا سرب من السيارات لنقل باقي الأفراد . وفي كل خمسين دقيقة نتوقف لمدة عشرة دقائق يخرج فيها الأفراد من أجل الإحماء، وكان الإنجليز قد أعطونا عدداً من كرات القدم وهو الأمر الذي سمح لنا بالدمج بين الشيء الممتع والمفيد .

٥١٣ إيضاح : المسافة من الاسماعيلية إلى حيفا تقدر بأكثر من ٢٠٠ كم ، والطريق بينهما يكون عبر سيناء المصرية وليس عبر فلسطين . وتم تدمير خط السكة الحديد هذا من جراء الصراع العربي الإسرائيلي ولكنه عاد للعمل من جديد الآن .

٥١٤ خطأ : المقصود هنا صحراء سوريا وليس سيناء .

قطعنا قرابة ٦٠ كم في عمق الأراضي الفلسطينية، وانتقلنا منها إلى الأردن لنمر على مدينة إربد ، وتذكرنا مرة أخرى تلك الشوارع الضيقة والمنازل الفقيرة، ومررنا ببعض القرى. وها نحن في العراق، وفي الصحراء السورية. وكنا نسير على الطريق السريع الاستراتيجي الذي يربط بين حيفا وبغداد. وكان الطريق في حالة جيدة للغاية. وها قد مر ٥٥ عاماً منذ ذلك الوقت[٥١٥] وها أنا أقف عاجزاً عن وصف هذا اللقاء مع الصحراء، رغم أن هذه الصورة كانت مثيرة للإعجاب . وكان السهل الرملي اللانهائي الرتيب يحيط بنا، يفتننا، وفي ذات الوقت يسبب لنا الضيق والكآبة. وأحيانا ما كانت تظهر من حين لآخر صور جمالية متشابهة وكان هذا يبدو لنا معجزة في حد ذاته. هذا إلى جانب بعض النباتات الصحراوية التي تفترش الرمال وهي تشير إلى عدم وجود حياة في تلك المنطقة. وكانت تظهر حولنا كثبان عالية وبدا لنا أن هناك شخصاً ما يحاول أن يقطع علينا الطريق. إلى أن الجو كان دافئاً وبعيداً نسبياً عن قيظ الحر، فنحن في شهر ديسمبر من عام ١٩٤٣. وقد وقعت تحت تأثير إنطباعات جديدة وغير عادية ، وكذلك كان الحال بالنسبة لباقي الزملاء، وكان يقترب مني الروس القرويون من وقت لآخر، ويعربون لي عن اندهاشهم تجاه تلك الطبيعة.

وصلنا في المساء إلى واحة الرطبة (مكان في منتصف الطريق بين حيفا وبغداد) حيث اضطررنا إلي المبيت هناك في معسكر الترانزيت الإنجليزى . وقاموا بتوزيعنا داخل مخيمات جيدة وأدخلوا السعادة على قلوبنا بالعشاء الساخن. ولكني لا أستطيع أن أنسى ذلك المشهد : بعد أن التقى بنا قائد المعسكر، أخذ ينبهنا إلى أهمية الحفاظ على الماء وقد وجهت نفس التنبيه لقادة الفصائل. وقد نفذ الجميع هذا الأمر فيما عدا الألمان، الذين لم يحرموا أنفسهم من متعة أخذ حمام ساخن. وإنتقدنا جميعاً هذا السلوك، ووجهت بعض الملاحظات إلي قائد الفصيلة الألمانية، ولكنه لم يستطع أن يفهم لماذا يجب عليهم أن يتخلوا عن عاداتهم .

بعد تناول العشاء أخذوني فجأة إلى قائد المعسكر. كنتُ أعتقد أن الأمر يتعلق بالإفراط في استخدام الماء ولكن الأمر لم يكن كذلك. فقد كان في انتظاري عدد من الضباط البولنديين إلى جانب قائد المعسكر. وبدا أنه كانت بالمعسكر مجموعة صغيرة من أفراد جيش أندرس البولندي، الذين كانوا في طريقهم من الاتحاد السوفيتي إلى الجزائر،

٥١٥ تم كتابة تلك المذكرات في عام ٢٠٠٠ .

وأن قيادة تلك المجموعة كانت على علم بتلك الواقعة ، التي حدثت في مدينة قسطنطينة، عندما قام البولنديون بضرب أحد جنودنا (فقد كتبت عن ذلك سابقاً) . كان الضباط يخشون من أن يكون لدى الروس رغبة في الإنتقام والأخذ بالثأر ، وطلبوا منّي الحيلولة دون وقوع أي صدام مؤكدين : « نحن بالطبع ندين ما حدث في قسطنطينة» . وقد أيد القائد طلبهم هذا . وقد وعدتهم باتخاذ الإجراءات اللازمة ، وتحدثنا بعد ذلك بطريقة ودية ، وفي الختام تناولنا بضع زجاجات من الخمر . وبعد أن عدت إلى مكانى ، جمعت رؤساء الفصائل ، وأكدت على أهمية الحفاظ على النظام . قبل النوم خرجتُ من الخيمة ، وفتحت عيناي على صفحة السماء المليئة بالنجوم الزاهرة المتلألئة .

في الصباح تواصلت رحلتنا ، وعند نهاية اليوم تغير المشهد : تظهر شجيرات صغيرة ، ثم يليها أشجار أكبر ، وتتوارى صورة الرمال رويداً رويداً إلى أن تختفي تماماً . مررنا على مدينة الرمادي ، ثم شاطيء البحيرة ، الذي بدا لنا معجزة كبيرة بعد مشهد الرمال التي ليس لها نهاية . عبرنا نهر الفرات لتظهر على مرمى البصر ، ملامح مدينة بغداد . وبمجرد أن دخلنا المدينة بهرنا أحد المباني بجماله الأخاذ ، ثم حل المساء ، وها نحن نَبيت في مدينة طلبة عسكرية .

في صباح اليوم التالي ، استطعتُ التجول قليلاً في بعض الشوارع المجاورة التي لم تترك لدي أي إنطباع خاص . كنتُ أرغب كثيراً في مشاهدة مدينة بغداد ، بيد أنه لم يكن هناك متسع من الوقت للقيام بذلك ، حيث جاء موعد المغادرة سريعاً ، ولكني أتذكر جيداً مشهد هؤلاء النسوة اللاتي إرتدين ثياباً رثة ، وكن يتسولن في الطرقات وفي أيديهن الأطفال الصغار ، لكن الشيء الذي أثار دهشتنا أنهن كن يتحدثن الروسية قليلاً ، وتبين لنا أنهن من الأكراد الذين هاجروا من أراضي الاتحاد السوفيتي .

بعد ذلك أوصلونا بالسيارات إلى محطة القطار . وصل القطار السريع إسطنبول- بصرة ، وتم توزيع مجموعتنا على عربات الدرجة الثالثة ، وبالنسبة لي فقد ركبتُ في عربات الدرجة الثانية باعتباري القائد . ظل القطار ينهب الأرض قرابة ٥٠٠ كم بجوار وادي نهر الفرات المزدهر بالخضرة الغناء ، ولم أغادر نافذة القطار لحظة واحدة . فأشجار النخيل وبساتين الفاكهة تمتد على طول الطريق ، وتترى القرى تتبع إحداها الأخرى . وصلنا إلى البصرة في النصف الثاني من اليوم ، تلك المدينة التي كانت تقع على مسافة ١٨-٢٠ كم تقريبا من الحدود مع إيران على شاطئ نهر شط العرب ، الذي تشكل نتيجة التقاء نهري دجلة والفرات . وتسنى لنا العبور عبر إيران من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال[٥١٦] .

٥١٦ إيضاح : تقع مدينة البصرة مقابل مدينة خرمشهر الإيرانية الواقعة في وسط البلاد .

بعض الكلمات عن الوضع العام في المنطقة . في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي ، بدأت ألمانيا الفاشية تتغلغل في الأراضي الإيرانية ، حيث أن إستيلاءها على هذه البلاد كان سيجعل لها تفوق إستراتيجي كبير في الحرب التي يتم الإعداد لها ، ولهذا فقد إستعدت القيادة الألمانية لغزو إيران . غير أن أنصار الائتلاف المضاد لهتلر قاموا بتوجيه ضربة وقائية : وتم احتلال إيران في أغسطس من عام ١٩٤١ ، على أيدي القوات السوفيتية والإنجليزية ، وتم تقسيم البلاد إلى قطاعين شمالي وجنوبي . وكانت كتائب الجيش السوفيتي تسيطر على القطاع الشمالي ، بينما كانت كتائب الجيش الإنجليزي تسيطر على القطاع الجنوبي . وكانت طهران في القطاع الذي يسيطر عليه السوفيت ، وقد علمتُ هذه المعلومات من إيفان إيفانوفيتش أفاييف .

التقينا في البصرة مع الضباط السوفيت ، ولكن اللقاء أقتصر على توجيه أسئلة من هذا القبيل : هل الأمور لدينا على ما يُرام ؟ هل نحن في حاجة إلى أية مساعدة ؟ ولم نراهم بعد ذلك . وكانت هذه هي المرة الأولى التي نرى فيها الزي الجديد للجنود السوفيت والذي أعجبنا به جميعاً ، وقد حازت الكتافات على إعجابنا بشدة . ثم أصبح ترتيب الجزء الباقي من الرحلة بين أيدي الإنجليز . ركبنا في قطار الركاب ، وعبرنا به الحدود وبعد ساعتين وصلنا إلى مدينة الأهواز الإيرانية . و قادونا إلى عربات القطار المسائي الآخر ، الذي سنستكمل فيه رحلتنا : الأهواز – طهران ، حيث قُمنا بوضع حقائبنا ومأكولاتنا به ، وقبل الرحيل من الأهواز كان لي جولة محدودة بها ، واتضح لى أنها مدينة المنازل المتواضعة ذات الطابق الواحد .

بدأت السماء تظلم عندما تحرك القطار . ولم يتبق من المسافة إلى طهران سوى ٧٠٠ كم ولكني أتذكر جيداً ، ذلك الطريق السيء . فعندما دخلنا إلى القطاع الذي يسيطر عليه الإنجليز ، توقف القطار في إحدى المحطات . وخرجت من عربة القطار لكي أستنشق هواءاً نقياً حيث كنا في ساعة مبكرة من الصباح . وكان يوجد بالقرب من عربتنا سلسلة من المدافع المضادة للطائرات يقف عليها جنود هنود . وشاهدتُ الهنود الصغار الرائعي الجمال بعد الإستحمام يقومون بتمشيط شعرهم الطويل ، الذي يصل إلى الكعوب ، و يجدلون شعر بعضهم البعض ، ويصنعون منه جدائل طويلة ، وكنتُ أتبادل الإبتسامة معهم .

هناك مشهد آخر أستطيع أن أذكره بوضوح : حيث كنتُ أشاهد من نافذة القطار سلسلة ممتدة من سيارات النقل المتحركة من طراز ليندليزا ، والتي كانت تقوم بنقل الذخيرة والسلاح والغذاء إلى داخل أراضي الاتحاد السوفيتي . وتبين لي فيما بعد أن تلك الشحنات التي تحملها هذه السيارات كان يجري نقلها إلى أحد موانيء إيران المطلة على بحر قزوين ، ومنها إلى باكو عبر الطريق البحرى .

وصلنا إلى طهران في المساء ، وكان في استقبالنا مجموعة من الضباط السوفيت برئاسة عقيد . قمت بتعريف نفسى . تعاملوا معنا بشكل لائق ، ولكن بجفاء . وسألونا عما إذا كان يتواجد بيننا مرضى أم لا ؟ قلتُ للعقيد إننا نحمل بريداً دبلوماسياً وكان مندهشاً بعض الشئ ، وقال إنه سيخبر قنصليتنا بهذا الأمر . قمنا بإنزال حقائبنا المتواضعة ، ومؤنتنا من عربات القطار إلى السيارة ، وذهبنا مشيا بالتشكيل العسكرى إلى الثكنات القريبة من محطة القطار . وتم توزيع الأفراد على الثكنات ، وذهبوا بى إلى غرفة الضابط النوبتجي . وقام بسؤالي عن رتبتي العسكرية ومتى وقعت في الأسر؟ وكانت نغمته في الحديث تتسم بالتعاطف معي . داخل الغرفة كان هناك أريكة واسعة ، قدم لي الضابط وسادة ، وبطانية ، وطبقاً كبيراً مليئاً بالسندوتشات إلى جانب كوب من الفودكا ممتلئاً عن آخره وتمنى لي أحلاماً سعيدة ، ثم تركني وغادر الغرفة .

أيقظوني في الصباح الباكر ،حيث كان لابد من مواصلة السفر ، وصل شخص يرتدي الزي المدني قمتُ بتسليمه البريد الدبلوماسي وشكرني . ذهبنا إلى المحطة بتشكيلنا العسكرى ، وقامت السيارة بنقل متاعنا . وقد أحضروا لنا بضع عربات لنقل البضائع ، وجلست في إحداها أنا وسيرجى ومساعده ، وشحنوا فيها أيضا المواد الغذائية الخاصة بنا . . وسرعان ما وصلنا إلى قطار الركاب وظل يقطع الطريق قرابة ٣٠٠ كم عبر طريق غاية في الجمال ! فيما بدا النهار مشمساً وجميلاً . وقام سيرجي بإعداد شهياً فخماً ، وأخرج من جعبته زجاجة خمر ، وكنا نقترب من حدود الاتحاد السوفيتي ، و نحن في حالة مزاجية ممتازة ...

تم نقل المرحلين إلى بندر شاه على شاطيء بحر قزوين ، وتم توزيعهم على أطراف المدينة في منازل صغيرة ، وكانوا يتناولون الطعام في مطاعم مجاورة تابعة للوحدة العسكرية وبعد مرور عشرة أيام تم نقل المجموعة عبر إحدى السفن إلى كراسنافودسك، ثم تلى ذلك عملية العرض على الحجر الصحي ، ويذكر مؤلف هذه الذكريات أنه انضم إلى معسكر «ريازان» الخاص في الثامن من فبراير ١٩٤٤ .

من الجدير بالذكر أن مذكرات «ب.ف فريدمان» تعد المذكرات الوحيدة المعروفة حتى هذه اللحظة التي تروي بالتفصيل رحلة الجنود السوفيت الذين يطلق عليهم «العبيد الروس» لرومل من الجزائر في عام ١٩٤٣ ، فيما تمثل لنا تلك المذكرات قيمة استثنائية ، وهامة جداً وجدير بالذكر ، أن هذه المذكرات كتبت في نهاية عام ١٩٩٠ ، عندما كان مؤلفها في مرحلة عمرية متقدمة جداً (أذكر أنه من مواليد عام ١٩٠٧) ، ولم تكن هذه المذكرات معدة للنشر ، طالما أنها لم يكن بها مسحه أيديولوجية وتفتقر إلى المراجعة التحريرية .

إن بعض المشاهد التي ساقها لنا المؤلف ، تجعلنا نشكك في تلك التصورات المعهودة عن عداء السلطات السوفيتية للأسرى القدامى والمهاجرين الروس . ويستدل على ذلك من خلال رحلة ب.ن فريدمان في نقل البريد الدبلوماسي من الجزائر إلى طهران ، وسلوك جيبيست بالإسكندرية الذي كان يذهب معه لزيارة المهاجرين الروس . و نخلص من هذا النص إلى أن هناك بعض التفاصيل الخاصة بتلك الرحلة ، قد محيت من ذاكرة فريدمان ، ولكن تبدو مذكراته في مجملها صادقة تماماً ...

И вот Алжир. Пароход встречали с музыкой — он доставил сюда партию освободившихся из немецкого плена французов. Я видел, как они сходили на берег, каждому вручали букет цветов. Все остальные прибывшие должны были пройти пограничный и таможенный контроль. Я вошел в комнату, где за длинным столом сидело человек десять военных, сел на стул напротив одного из них, показал свои бумаги — справку из мэрии и ту, что получил от Жака. Меня попросили показать содержимое рюкзака, после чего предложили пересесть к офицеру довольно высокого звания. Он окинул меня внимательным взглядом и стал расспрашивать — откуда я, в каких частях Советской армии служил и в каком звании, как попал на Корсику, а затем неожиданно произнес: "Я предлагаю вам вступить в наш иностранный легион, зачем возвращаться в Советский Союз, вас там ничего хорошего не ждет, тогда как у нас вы будете чувствовать себя прекрасно". Я ответил отказом и, несмотря на долгие уговоры, согласия не дал. Офицер был явно раздосадован.

Мне дали направление в военную гостиницу, объяснили, как ее найти (она находилась неподалеку от порта) и выпустили в город. В гостинице я предъявил направление дежурному, меня зарегистрировали, проводили в большой зал, тесно уставленный кроватями, и указали свободное место. В зале звучала английская речь — преобладали английские, американские и канадские военнослужащие. Столовая работала круглосуточно, каждый мог бесплатно пользоваться ею без всяких ограничений, выбирая себе любые блюда по вкусу. Плату брали только за вино и виски. Я прожил в этой гостинице дня два или три. При регистрации я объяснил, что мне нужно попасть в советское посольство, но никто о нем ничего не знал, дежурный офицер сказал: "Подождите, пока живите,

узнаем — сообщим". Я не форсировал события. Город оказался очень интересным. Он состоит из двух частей: европейская часть — это широкие проспекты, красивые здания, нарядная толпа, шикарные магазины, рестораны, кафе, и арабская часть — ветхие постройки, узкие улочки, грязь, женщины с закрытыми лицами. Группа канадских солдат случайно узнала, что я русский. Они бурно приветствовали меня, сейчас же потащили в ресторан и устроили большую попойку. Пришлось в следующие дни избегать их, так как выдержать такую выпивку вторично я бы не смог.

Не могу вспомнить, что этому предшествовало, но вижу, как мы с поляками, моими спутниками по пароходу, в сопровождении французского солдата идем по улицам Алжира — нас переводят в какое-то другое место. Это новое место походило на казарму, а, может быть, это была военная комендатура города — не знаю. Меня поместили в комнату, где находились несколько французских солдат. Поляков я больше не видел. Каждый день я справлялся у дежурного офицера, когда меня передадут в советское посольство, но ответа не получал. В одной из соседних комнат я обнаружил русского. Мы познакомились. Его звали Василий — высокий крепкий парень лет тридцати, ленинградец, по профессии шофер, тоже бежавший из немецкого плена и тоже побывавший на Корсике. Он сказал, что находится здесь уже две недели, живется тут неплохо и нет смысла так уж спешить с переходом в наше посольство.

Дни шли, и я уже стал тревожиться — не есть ли это форма давления на меня, чтобы вынудить согласиться на вступление в иностранный легион. Добился приема у местного начальника (это было нелегко) и потребовал, чтобы меня незамедлительно передали в посольство СССР. На другой день меня посадили в машину, рядом сидел Василий, впереди — французский офицер. Мы подъехали к роскошного вида оте-

جزء من مذكرات فريدمان